يا بدر ان القبر في بقعة يحجبها وآد الصفا والحبوب
فلا تكن دونهما مسكاً ومر شعاع الانس ان لا تغيب
وانت يا قبر اتسع للتي ضاقتك ولجدد ذاك الكثيب
ما أعيت الاجساد لحداً ولا الارواح هذاك الفضاء الرحيب

***

ويوم سوينا[1] عليها استوى قلبي الى عرش القضاء المهيب
ناجيت ربي قائلاً ما جلى عبدك حتى ساورته الكروب
فقال ثق عبدي فان الذي أحبه أخلصه بالخطوب
انظر الى ايوب في كربه واصبر كايوب واني المثيب
آمنت بالله وآياته ما خاب ملهوف اليه يثيب
قد كان ما قد كنت اخشى فقل انا الى الله الكريم الأيوب[2]

نجيب شاهين

اليزيدية

وبحث في منشإ معتقدهم

اليزيدية طائفة من الاكراد يسكن اكثرهم في جهات الموصل وولاية أرزان الروسية ومنهم طوائف في نواحي دمشق وبغداد وحلب . وهم من أغرب طوائف المبتدعة يدعة يدينون بعبادة الشيطان ويقولون بالتناسخ ولهم في كتم نحلتهم والاحتفاظ باسرارها مبالغة شديدة طوت امرهم عن الناس زمناً حتى أتيح لبعض من خالطهم من رواد الافرنج وغيرهم كشف القناع عن كثير من دخائلهم وان كان وقع في عباراتهم ما لا بد من وقوعه في كل امر يحاط بالخفاء والكتمان

واوّل مجلة عربية تصدّت لهذا البحث فيما نعلم مجلة المقتطف في فصل نشرته في ج ١٣ ص ٣٩٣ ملخصاً مما حققه عنهم الاستاذ بروسكي بعد ما ثوى فيهم وعاشرهم دهراً . ثم كتب العلامة اليازجي في مجلد ١ ص ٧٠٥ من ضيائه فصلاً آخر لا يخرج في جوهره عما في المقتطف وان باينه في بعض المواضع بشيء من الاختلاف والزيادة والنقصان

(١) اي دفناها وسهدنا الترب على قبرها (٢) الرجوع

ونشر الاب انستاس الكرملي مقالة مسهبة عنهم في مجلد ٢ من المشرق لم يترك فيها غاية لمستقص او مجالاً لقائل . ثم عثر عيسى افندي يوسف في الموصل على نسخة مخطوطة باللغة العربية من كتابيهم الجلوة ومصحف رش فنشرها بنصّهما في مجلة اللغات والآداب السامية باميركا سنة ١٩٠٩ م مع الترجمة الانكليزية . وعثر احد علماء المشرقيات في النمسا على نسخة منهما بالعربية والكردية فطبعهما بالنصّين والترجمة الفرنسوية في فينا سنة ١٩١٣ فازداد امرهم بطبعهما جلاءً ووضوحاً وأميط اللثام عمّا تضارب فيهم من الاقوال في المقالات الثلاث المتقدم ذكرها

غير ان القول في منشإ هذه النحلة واوّل مبتدع لها وما تطوّرت فيه بعد ذلك من الاطوار لم يزل غامضاً ملتبساً وكل ما اوردوهُ عنها في ذلك جاء مضطرباً مبتوراً لا يصدر عنهُ الباحث بشيء وهو ما قصدنا البحث فيهِ في هذه المقالة بعد ان نلخّص من عقائدهم ما يتوقف عليهِ اطّراد البحث ونمثّل للقارىء صورة مجملة منهم

ملخّص عقيدتهم

للقوم كتابان كما ذكرنا احدهما كتاب الجلوة وهو يتضمن ما خاطب بهِ الباري تعالى خلقهُ والمقصود بهم اليزيدية وكلاماً في قدمهِ تعالى وبقائهِ وقدرتهِ ووعدهِ ووعيدهِ وذكر القول بتناسخ الارواح وفيهِ ان الكتب التي بايدي الخارجين أي اهل الاديان المعروفة ليست كما أُنزلت بل بدّلوا فيها وحرّفوا فما وافق منها سنن اليزيدية فهو المقبول وما غايرها فمن تبديلهم

والثاني مصحف رش أي الكتاب الاسود وفيهِ حديث خلق السموات والارض وما فيها من بحار وجبال واشجار وخلق الملائكة والعرش وآدم وحوّاء وارسال الشيخ عادي بن مسافر من الشام الى لالش وما كان من نزول طاووس ملك (اي الشيطان) الى الارض واقامتهِ ملوكاً لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لهم . وفيهِ ان كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحوّاء واما شيث ونوح وأنوش وهم آباء اليزيدية الاوّلون فمن نسل آدم فقط واصلهم من توأمين ذكر وأنثى ولدهما باحدى الخوارق . وان طوفان أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح مضى عليهِ الآن سبعة آلاف سنة في كل الف سنة منهما ينزل لهُ من السماء يشرّع لهم الشرائع ويسنّ السنن ومن هؤلاء الآلهة السبعة يزيد الذي ينتسبون اليهِ اما رئيسهم واوّلهم فالشيطان المعبّر عنهُ عندهم بطاووس ملك ومرتبة هؤلاء الآلهة دون مرتبة الاله الاعظم الواحد القهّار الفعّال لما يريد

وفيهِ ايضاً شرائعهم وما أحلَّ لهم وما حرَّم عليهم في الزواج وغيره وشرع امر الطواف بمناجقهم في البلدان والقرى بجمع الصدقات وزيارتهم لقبر الشيخ عادي وما يفعلونهُ في عيد رأس السنة من قطف النَّوْر الاحمر وذبح الذبائح واطعام الفقراء وزيارة القبور . وفي كلا الكتابين من التلفيق والخبط والخلط ما فيهِ وتمتاز النسخة النسوية بوجود النصّ الكرديّ فيها . وتختلف عنها الاميركية ببعض زيادات وتقديم وتأخير في العبارات وفيها فوق ذلك ملحق فيهِ ما ليس في الكتابين من شرائعهم واحوالهم وكرامات اوليائهم وتفصيل مراتب امرائهم وشيوخهم وأغنيةٍ مختلَّة الوزن والتركيب في مدح الشيخ عادي وأخرى مثلها تتلى في صلاتهم وصورة المحضر الذي كتبوهُ لما أرادت الدولة العثمانية تجنيدهم وقد ذكروا فيهِ السبب الديني المانع لهم من مخالطة غيرهم

يزيد الذي ينتسبون اليهِ

جاء في كتب الملل والنحل ذكرٌ لفرقةٍ من الاباضيَّة يدعون باليزيدية وهم اتباع رجل من الخوارج اسمهُ يزيد بن ابي أُنيسة وهو غير المحدّث المشهور كان بالبصرة ثم انتقل الى ارض فارس وكان من زعمهِ ان الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم و ينزل عليهِ كتاباً جملة واحدة ينسخ بهِ الشريعة الاسلامية و يكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط . فذهب الاب انستاس والعلاّمة اليازجيّ الى أنَّ يزيديّة اليوم هم من بقيَّة هذه الفرقة وجنحا لهذا الرأي لاتحاد الفرقتين في النسبة ووجود كتاب مزعوم تنزيلهُ . اما نحن فلا نرى هذا الرأي ولا نجد علاقة ما بين هذه وتلك بل رأينا انَّ اتباع ابن ابي أُنيسة انقرضوا فيما انقرض من الفرق العديدة التي لا وجود لها الآن وعندنا ان نسبة يزيدية اليوم انما هي ليزيد بن معاوية على التحقيق كما يدَّعون هم ولكن لا على ما لفَّقوهُ من المزاعم بل لما سنوردهُ عليك بعد

وزعمهم هم في يزيد على ما جاء في مصحف رش انَّ معاوية اباهُ كان خادماً لنبيّ الاسماعيليين اي نبيّنا عليهِ الصلاة والسلام وحلق رأسهُ يوماً فجرحهُ واكبَّ على الدم فلحسهُ بلسانهِ لئلاَّ يسيل على الارض فقال لهُ النبيّ اخطأت وستكون ذريّتك اعداء لأمتي فعاهدهُ على ان لا يتزوج ابداً ولم يكن لهُ بنون من قبل ولكنَّ الله سلَّط عليهِ عقارب لدغتهُ في وجههِ وجزم الاطباء بموتهِ ان لم يتزوّج فتزوّج امرأة في الثانين ليأمن حملها فلما اصبحت اذا اذا هي ابنة خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد احد آلهتهم السبعة

وفي (المجلد ٣) من مجلة لغة العرب التي كانت تصدر في بغداد مقالة عن الاكراد للكاتب الفاضل شكري افندي الفضلي تعرّض فيها في (ص ٣٠٩) لليزيدية بكلام مختصر ذهب فيه الى انهم من المجوس الداسنيين هجروا حاضرتهم القديمة يزد وسكنوا داسن فقيل لهم اليزديون ثم صحفتهُ العامة وقالت يزيديون . وقد عقّب عليهِ صاحب المجلة بانهم غير الداسنيين وان لا علاقة لهم بيزد في كلام لا يبقي للشك مجالاً

الشيخ عادي

للشيخ عادي مقام غير منكور عند اليزيدية وقبرهُ اليوم كعبتهم التي يحجون اليها وشيخهم الاعظم سادن مقامهِ ولهم فيهِ مزاعم في مصحف رش منها ان الله تعالى ارسلهُ من ارض الشام الى لالش ومفهوم العبارة ان ذلك كان قبل خلق آدم وهو من الخلط الذي لا تخلو منهُ عباراتهم

وفيهِ انهم عند ارسال الناجق الى القرى لجمع الصدقات يخرجونها من عند قبره باحتفال عظيم ورقص وغناء وزمر وتقر على الدفوف والطبول ويحجون من ترابهِ بنادق (كرات صغيرة) تحمل مع الناجق فتفرّق في القرى للتبرّك بها . وعند عقد الزواج يأتون برغيف من دار شيخهم يتقاسمهُ العروسان فان لم يوجد اكتفيا بسفّ شيء من تراب الشيخ عادي . وفي الزوائد الحقة بالنسخة الاميركية انّ من يموت منهم يجب ان يحضرهُ شيخ من شيوخهم الذين في طبقة (الكوجك) ليضع في فيهِ شيئاً من هذا التراب قبل دفنهِ وفيها ايضاً تفصيل مناسكهم عند زيارتهِ وانها مفضّلة عندهم على حجّ البيت الحرام مع التصريح بانهُ مبتدع ملّتهم ومرشدهم الاوّل الى طريقها

وفي النسخة الاميركية ايضاً نبذة عن الشيخ عادي وردت قبل كتاب الجلوة كمقدمة لهُ نثبتها هنا دليلاً على مبلغ جهلهم بالتاريخ وخلطهم بين الازمان المتفارقة ونموذجاً لما في كتابهم من فساد التركيب وسوء التعبير وهي بنصها « في زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هجرية كان منصور الحلاّج وشيخ عبد القادر الكيلاني في ذلك الوقت ظهر انسان اسمهُ الشيخ عادي من جبال الحكّارية (١) اصلهُ من اطراف حلب او من بعلبك جاء وسكن جبل لالش قريب مدينة الموصل نحو تسع ساعات والبعض قالوا انهُ من اهل حرّان ونسبتهُ الى مروان بن الحكم فانهُ شرف الدين ابو الفضائل عادي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان وكان وفاتهُ سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هاجرية وقبره يزار

(١) الصواب الهكارية

الآن قرب قرية باعذرى[1] من قرى الموصل تبعد عنها احدى عشرة ساعة واليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين عند الشيخ عادي المذكور والبعض منهم ينسبون الى يزيد ومنهم الى حسن البصري » انتهى

ولا بدَّ لنا قبل الشروع في التعريف بهذا الشيخ من تصحيح اسمه فانهُ ورد في كتابيهم مرسوماً بزيادة الف بعد العين كما رسمناهُ فيما تقدَّم متابعة لهم وبهِ ورد ايضاً في مقالتي المقتطف والمشرق واوردهُ العلاَّمة اليازجي في الضيآء بلفظ الشيخ الهادي وعلق عليهِ في الحاشية بما نصهُ « الذي في الاصل السرياني الشيخ ادى وكذلك هو في النقل الفرنسوي ولعل لفظهُ الصحيح عدي الاَّ اننا رأينا بولياي رواه يزيادة هآء في اوله كما اثبتناهُ فيما نقلناهُ عنهُ قريباً وهو الذي اعتمدناهُ في سائر المقالة توحيداً للتسمية » انتهى . قلنا والذي ذهب اليهِ ظننهُ في تصحيح لفظهُ هو الصواب

وفي مقالة المشرق ذكرٌ لاسطورة رواها رجلان من اليزيدية مصرّح في آخرها بان لفظة عادى محوّل عن آدى وخلاصتها ان مزار الشيخ كان في الاصل ديراً للنساطرة بني على اسم القديس آدّى او آدى ثم تفرَّق رهبانهُ باغواء طاووس ملك لهم ودانوا باليزيدية وظهر في ابَّان ذلك الشيخ عادي بدعوتهِ وانبأ تلاميذهُ بامر الرهبان قبل وقوعهِ واوصاهم بدفنهِ في مكان المذبح الاعظم بالبيعة بعد هدمهِ ففعلوا بوصيتهِ وصاروا يحجون الى قبره كل سنة وحوَّلوا اسم آدي الى عادي . قلنا القول بهذا التحويل ظاهر البطلان لما سيأتي ولعل كاتب المقالة الفاضل كان متوقفاً فيهِ او فيما ورد عن اصل المزار ايضاً فانهُ ختم العبارة بقولهِ (فتأمل)

والصواب انهُ الشيخ عَدي بن مسافر[2] احد صوفية زمنهِ ومعتقديهم ترجمهُ ابن خلكان في الوفيات فقال فيهِ « الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان كذا اولى نسبهُ بعض ذوي قرابتهِ الهكاري سكنآ العبد الصالح المشهور الذي تنسب اليهِ الطائفة العدوية » انتهى . وذكر ابن الوردي نسبتهُ في تاريخهِ على ما هو وارد هنا وزاد فيهِ بعد مروان الاخير « ابن الحكم بن مروان الاموي » . قال ابن خلكان « صار ذكرهُ في الآفاق وتبعهُ خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيهِ الحدّ حتى جعلوهُ قبلتهم

(١) اوردها ياقوت في معجمهِ بلفظ باعذرا بالذال المعجمة وقال عنها انها من قرى الموصل

(٢) نسبتهُ هنا الى جدّهِ مسافر اما ابوهُ فاسمهُ صخر كما سيأتي في ترجمة الشيخ حسن

التي يصلّون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها . وكان قد صحب جماعة كثيرة من اعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل عقيل المنجي[1] وحمّاد الدباس وابي النجيب عبد القادر السهروردي[2] وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل الهكّارية من اعمال الموصل وبنى لهُ هناك زاوية ومال اليهِ اهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لارباب الزوايا مثلهُ . وكان مولدهُ في قرية بقال لها بيت قار من اعمال بعلبك والبيت الذي ولد فيهِ يزار الى الآن وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة في بلدة بالهكّارية ودفن بزاويتهِ رحمهُ الله تعالى . وقبرهُ عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة وحفدتهُ الى الآن يوضعهِ يقيمون شعارهُ ويقتفون آثارهُ والناس معهم على ما كانوا عليهِ زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة . وذكرهُ ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل وعدّهُ من جملة الواردين على اربل . وكان مظفّر الدين صاحب اربل رحمهُ الله تعالى يقول رأيت الشيخ عديّ بن مسافر وانا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة اسمر اللون وكان يحكي عنهُ صلاحاً كثيراً وعاش الشيخ عديّ تسعين سنة رحمهُ الله تعالى » انتهى بنصّهِ

وترجمهُ الشيخ الشعراني في طبقاتهِ الكبرى المسماة بلواقح الانوار وفي طبقاتهِ الوسطى ايضاً فاثنى عليهِ في كلتيهما ثناء جمًّا وذكر انهُ اقام في اول امرهِ زماناً في المغارات والجبال والصحارى مجرداً سائحاً يأخذ نفسهُ بانواع المجاهدات قال وهو اوّل من قصد بالزيارات وتربة المريدين الصادقين ببلاد المشرق وقصدهُ الناس من سائر الاقطار . ثم نقل شيئاً من مأثور كلامهِ في التصوّف وذكر لهُ كرامات وخوارق الى ان قال سكن رضي الله تعالى عنهُ جبل الهكّار واستوطن بالس الى ان مات بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بزاويتهِ المنسوبة اليهِ وقبرهُ بها ظاهر يزار

وذكر ابن الاثير وابو الفداء ان وفاتهُ كانت في المحرّم سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتابعهما في ذلك ابن الوردي الاّ انهُ نقل ايضاً عن كتاب بهجة الاسرار لنور الدين البلخي انها كانت سنة ثمان وخمسين وان اصلهُ من حوران واطنب ابن الوردي فيهِ وفي وصف زهده وتقشّفهِ وكراماتهِ في كلام نقل اغلبهُ الشعراني في طبقاتهِ . وفي مختصر تاريخ الاسلام للذهبي في حوادث سنة ٥٥٧ ما نصهُ « وفيها مات شيخ العارفين عديّ بن مسافر الهكّاري الزاهد وقد قارب التسعين »

---

(١) و (٢) في الاصل المغي والشهرزوري وكلاهما تحريف

وبالس التي ذكرها الشعراني بلدة بالشام بين حلب والرقة على ما في معجم ياقوت فليست هي بلدة الشيخ عدي التي سكنها ودفن بها بالفكارية . والذي في طبقاته اوسطى لاكش بلام فالف فكاف وكلاهما فيما ظهر لنا محرف عن لالش وهي الواردة في النصين العربي والكردي من مصحف رش الا انها وردت في بعض المواضع من النص الكردي بلفظ لايش بالمثناة التحتية بدل اللام وبه وردت في مقالة المقتطف ايضاً والمرجح انها بلامين وهي التي ذكرها ياقوت في معجمه بلفظ ليلش وقال عنها قرية في التحف من اعمال شرقي الموصل منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي شيخ الاكراد وامامهم وولده

ومن ترجم الشيخ عدي ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في وفيات سنة ٥٥٧ فاثنى عليه ثناء من ترجمه قبله وذكر تجاوز اصحابه الحد في اعتقادهم به حتى زعموا انه اذا ذكر على الاسد وقف او على البحر سكن والى ذلك اشار الشيخ الصديق بن محمد المقري المعروف والده بالمدوخ في وسيلته الجامعة بقوله :

بجاه عدي ذلك ابن مسافر به تسكن الامواج في لجج البحر
وان قلته للّيث لم يخط خطوة ولا الشبر من قاع ولا القاع من شبر

هذا ما ظفرنا به من ترجمته وهو عندنا اصل الطريقة اليزيدية واول مكون لهذه الطائفة على ما أدّانا اليه البحث

الشيخ حسن

ذكر اسمه في مصحف رش على انه ثاني الالهة السبعة ويسمّى ايضاً درداييل وورد في الزيادات الملحقة منعوتاً بالبصري وأن له قبة في القباب التي حول قبر الشيخ عدي ومن نسله شيخهم الاعظم . ولا ندري اهما رجل واحد ام اثنان عندهم وقد بحثنا في كتب التراجم عن مسمّى بهذا الاسم له علاقة بهم فاهتدينا إلى اثنين احدهما من آل عدي بن مسافر وكان احد خلفائه عليهم وفي زمنه دبّ الفساد والزيغ فيهم وهو غير منسوب للبصرة والثاني منسوب اليها ولكن ليس في ترجمته دلالة على صلة له بهم سوى الاتحاد في الاسم والنسبة والولادة بالموصل

وللاول ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر قال فيها عن نسبه « الحسن بن عدي بن ابي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين شمس الدين ابو محمد شيخ الاكراد وجده ابو البركات هو اخو الشيخ عدي » . وقد تقدّم في نسب الشيخ عدي انه عدي بن مسافر بن اسماعيل الخ وعليه لا يصح ان يكون ابو البركات خالاً له بل يكون ابناً لاخيه

والصواب ان جميع من ترجموا الشيخ عديًّا اسقطوا اسم ابيهِ ونسبوهُ لجدّهِ مسافر لشهرتهِ فقد جاء في مادة (هكر) من شرح القاموس في الكلام على الهكارية ما نصهُ « واليها ينسب الوليّ المشهور ابو المفاخر عديّ بن صخر بن مسافر الاموي المكاري » وبهِ يصح ما في فوات الوفيات

ثم قال ابن شاكر « وكان شمس الدين من رجال العالم رأيًا ودهاء ولهُ فضل وادب وشعر وتصانيف في التصوف ولهُ اتباع ومريدون يبالغون فيهِ قال الشيخ شمس الدين الذهبي وبينهُ وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القدم والفرق وقد بلغ من تعظيم العدوية لهُ انهُ قدم عليهِ واعظ فوعظهُ حتى رقّ قلبهُ وبكى وغشي عليهِ فوثب الاكراد على الواعظ فذبحوهُ ثم افاق الشيخ حسن فرآهُ يتشحّط في دمهِ فقال ما هذا فقالوا لهُ ايش هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ فسكت حفظًا لدستهِ وحرمتهِ . وخاف منهُ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليهِ وحبسهُ ثم خنقهُ بوتر في قلعة الموصل خوفًا من الاكراد لانهم كانوا يشنّون الغارات على بلادهِ فخشي ان يأمرهم بادنى اشارة فيجتاحوا بلاد الموصل . وفي الاكراد طوائف الى الآن يعتقدون ان الشيخ لا بدّ ان يرجع وقد تجمّعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجهُ وما يعتقدون انهُ قتل . وكانت قتلتهُ سنة اربع واربعين وستمائة ولهُ من العمر ثلاث وخمسون سنة »

وترجمهُ ايضًا ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب وساق نسبهُ كما هنا اي بزيادة صخر بعد عديّ الاكبر ونعتهُ بشيخ العدوية الاكراد وذكر عنهُ ما ذكرهُ ابن شاكر ثم اورد عبارة للذهبي عدّد لهُ وبجماعتهِ فيها منكرات وختمها بما معناهُ (إن كان هذا طريق الجنة فأين اذن طريق النار)

اما الثاني على فرض انهُ غيرهُ فقد جاء في المنهل الصافي لابن تغرى بردي عن رجل يلقب بحسن البصري ما نصهُ « جعفر بن عليّ بن جعفر بن الرشيد الشيخ المسند المعمر شرف الدين الموصلي المقري المعروف بالحسن البصري . مولدهُ بالموصل في سنة اربع وستمائة وكان شيخًا فاضلاً عارفًا حافظًا للاخبار والشعر والادب ذكرهُ الحافظ علم الدين البرزالي وقال سمع من السهروردي كتاب العوارف بالموصل وسمع بدمشق من ابن الربيدي وبمصر من ابن الجميزي وبالثغر من ابن رواح وتوفي بدمشق سنة ثمان وتسعين وستمائة رحمهُ الله . قلت وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصري التابعي المشهور المتوفى سنة عشر ومائة » انتهى . وليس فيهِ ما يدلّ على علاقة لهُ بهم

منشأ نحلتهم وتكوين طائفتهم

لا يخفى ان الغالب في كثير من الاديان والمذاهب ان يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعين اليها إما بالابتداع فيها او بتغيير النصوص او بتأويلها على حسب ما توحيه الآراء وتزينهُ الاهواء . والشواهد على ذلك كثيرة تكاد لظهورها تُحس وتشترك الايدي باللمس غير ان التغيير يختلف قلة وكثرة تبعاً لاميال المبتدعين على المذهب واغراضهم واستعداد نفوس متبعيهم . وهو عين ما طرأ على مذهب اليزيدية فانهم لم يكونوا في مبدإ امرهم سوى طائفة من الصوفية لهم طريق خاص كالحال في سائر طوائف القوم غير انهم غلوا في شيخهم عدي تجاوز الحد ادّى الى قولهم فيهِ بما لا يوافق شرعاً ولا عقلاً ثم قام فيهم رؤساء في السوء الطالبون للحطام من طريق الرئاسة فتوسعوا في مذهبهم وادخلوا فيهِ ما اقتضتهُ مصلحتهم ووافق اهواءهم وما زالوا ينقصون منهُ ويزيدون قرناً بعد قرن حتى خرجوا من الاسلام جملة

ولم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس الهجري حتى اشتهر الشيخ عدي بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة وتسامع بهِ الناس فقصدوهُ من الاطراف للاسترشاد ثم انتقل الى جبال هكار موطن الاكراد فتبعهُ منهم خلق كثير اتخذ منهم التلاميذ واحدث الطريقة العدوية كما مرّ بك في اخبارهِ . ولم يكن على شيء مريب في طريقتهِ والاّ لما اثنى عليهِ كل من كتب عنهُ . وحسبك ان الامام ابن تيمية المشهور بشدّتهِ في الدين لم يذكرهُ الاّ بالخير في رسالة لهُ سيأتي شيء منها . وانما بدأ فيهم الزيغ بعد موتهِ في رئاسة الشيخ حسن ابن اخيهِ عليهم او قبلهُ بقليل ولقد تقدم انهُ كان لا يهتمّ الاّ بحفظ ناموسهِ مع الطرائق على منكرات اخذها عليهِ الذهبيّ . ولما فشا فيهم الانحراف وشاع عنهم كتب لهم ابن تيمية رسالتهُ العدوية التي اشرنا اليها وهي طويلة بناها على النصح والارشاد الى طريق السنّة والحضّ على التمسك بها وتعرّض فيها لما كانوا عليهِ في زمنهِ فحذّرهم من البدع والغلوّ في المشايخ كما غلوا في الشيخ عديّ ومن قولهِ في هذا الصدد . وفي زمن الشيخ حسن زادوا اشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عديّ وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان عليهِ الشيخ عديّ الكبير قدّس الله روحهُ فانّ طريقتهُ كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً وجرت فتن لا يحبّها الله ولا رسولهُ »

فيتضح من هذا ومما تقدمهُ أصل منشإ هذه الطائفة وانها كانت تسمّى في مبدإ الامر

بالعدوية نسبة لشيخها اما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم تقف على زمنها والظاهر انها حدثت في القرون الاخيرة ولعل موالاة البحث تكشفها فيما بعد

منشأ اعتقادهم في يزيد

تولّى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهة من كثير من المسلمين ثم وقعت في ملكه كوائن كقتل الامام الحسين والعدوان على اهل المدينة ونقلت عنهُ أمور من الاستهانة بالدين والاشتهار بالشراب اكثرت فيهِ القال والقيل وتسبّب عن ذلك تشعّب الآراء فيهِ فذهبت الشيعة فيهِ ملعبًا معروفًا وافترق اهل السنّة فمنهم من غالى في بغضهِ واجاز لعنهُ ومنهم من اقتصد ومنهم من خالف وحسّن الظنّ وكان من هؤلاء الشيخ عديّ بن مسافر فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها رأيناهُ يقول فيها « وان يزيد بن معاوية رضي الله عنهُ امام وابن امام ولي الخلافة وجاهد في سبيل الله ونقل عنهُ العلم الشريف والحديث وانهُ بريء مما طعن فيهِ الروافض من اجل قتل الحسين رضي الله عنهُ وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيهِ » . فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد فانهم تولّوهُ اولاً تبعًا لرأي شيخهم ثم جروا فيهِ على ما جروا عليهِ من الغلوّ في غيرهِ فجعلوهُ وليًّا ثم نبيًّا وما زالوا بهِ حتى اتّخذوهُ الهًا من الآلهة السبعة حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والاوهام

وقد تعرّض لذلك ابن تيمية في الرسالة العدوية ولم يكونوا بلغوا بهِ في زمنهِ غير مرتبة النبوّة فقال « اعتقد بعضهم انهُ كان من الانبياء و يقولون من وقف في يزيد وقفهُ الله على نار جهنّم و يزورون عن الشيخ حسن بن عديّ انهُ كان كذا وكذا وليًّا وقفوا على النار لقولهم في يزيد » وقد اطال في هذا الموضوع و بيّن افتراق الناس فيهِ بين محبّ ومبغض وما نشأ عن تمسك كلّ فريق برأيهِ من الضلالة حتى جعلهُ بعضهم كافرًا زنديقًا والبعض من ائمة الهدى وكبار الصلحاء بل الاولياء وذكر انّ منشأ الاعتقاد بصلاحهِ كراهة بعض اهل السنّة للعنهِ فظنّ قوم ممّن يتسنن أنّ ذلك بني على صلاحهِ فاعتقدوهُ . ثم بيّن لهم خطأ الفريقين ونصحهم باتّباع الاولى وهو الاقتصار فيهِ على ان لا يسبّ ولا يحبّ

منشأ اعتقادهم في الشيطان

ليس في عقيدة الشيخ عديّ ما يخالف الاصول المعروفة في عقائد اهل السنّة والجماعة وقد تفحّصناها فلم نشمّ منها رائحة رأي في الشيطان يُخرّج اعتقاد اليزيدية عليهِ بل رأيناهُ فيها بالعكس يكثر من لعنهِ ويغلي على من يزعم انّ الخير من الله والشرّ من ابليس وعلى من تعالوا فقالوا ارادة ابليس فوق ارادة الله تعالى . فترى من هذا انّ مذهبهم في الشيطان غير

مبني على قول شيخهم كما بُني مذهبهم في يزيد بل هم فوق ذلك مخالفون لهُ ومفسدون لرأيهِ فيهِ ولم يشر ابن تيمية في الرسالة العدوية الى شيء من ذلك فالظاهر انهم جنحوا لهذا الرأي بعد زمنهِ ولعلهُ نشأ من احد من تولّى زعامتهم من المشايخ واليك ما ظهر لنا في ذلك

قد تقدّم ان اليزيدية لم يكونوا الاَّ طائفة من الصوفية ثم صاروا من غلاتهم وما زالوا يتمادون في الغيّ حتى باينوا جميع الفرق الاسلامية وخرجوا من الاسلام جملة . ولا يخفى أنّ لغلاة الصوفية من الآراء الشاذّة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهرهُ ينطقون بها في أحوال تعرض لهم يسمّونها بالطوالع او الشطح او غير ذلك ويحملها بعضهم على خلاف ظاهرها بضروب من التأويل ليس من موضوعنا الكلام فيها . وقد اشار ابو حفص عمر بن محمد السهروردي في عوارف المعارف عند كلامهِ على الخلوة الى ما يقع لبعض الصوفية من الزيغ وذكر انّ ما يفتح بهِ على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعدهِ وغرورهِ وحماقتهِ وانهُ لا يزال حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقهِ ويتكر الحدود والاحكام الى آخر ما قال

ومن تلك الآراء ما ذهب اليهِ بعضهم من التعصُّب لابليس وتبرير عملهِ في عدم السجود لآدم بل نسب هذا القول لبعض كبارهم ومنهُ ما رواهُ ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال

« وكان ابوالفتح احمد بن محمد الغزالي الواعظ اخو ابي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي قاصًّا لطيفاً وواعظاً مفوّهاً وهو من خراسان من مدينة طوس قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظهِ مسلكاً منكراً لانهُ كان يتعصب لابليس ويقول انهُ سيد الموحدين . وقال يوماً على المنبر من لم يتعلّم التوحيد من ابليس فهو زنديق أمر ان يسجد لغير سيدهِ فابى

ولست بضارع الاَّ اليكم واسأ غيركم حاشا وكلاَّ

وقال مرة اخرى لما قال لهُ موسى ارني فقال لن فقال هذا شغلك تصطفي آدم ثم تسوّد وجههُ وتخرجهُ من الجنة وتدعوني الى الطور ثم تشمت بي الاعداء هذا عملك بالاحباب فكيف تصنع بالاعداء . وقال مرة اخرى وقد ذكر ابليس على المنبر لم يدرِ ذلك المسكين ان اظافر القضاء اذا حكّت أدمت وان سهمَ القدر اذا رمت اصمت ثم قال لسان حال آدم ينشد في قصتهِ وقصة ابليس

وكنت وليلى في صعود من الهوى فلما توافينا ثبتّ وزلّتِ

وقال مرة اخرى التقى موسى وابليس عند عقبة الطور فقال موسى يا ابليس لمَ لم تسجد

لآدم عليهِ السلام فقال كلاَّ ما كنت اسجد لبشر كيف أوحّدهُ ثم التفت الى غيرهِ ولكنك انت يا موسى سألت رؤيتهُ ثم نظرت الى الجبل فانا اصدق منك في التوحيد . وكان هذا الغط في كلامهِ يدق على اهل بغداد وصار لهُ بينهم صيت مشهور واسم كبير » . الى ان قال « وهذا نوع تعرفهُ الصوفية بالغلو والشطح ويروى عن ابي يزيد البسطامي منهُ كثير » انتهى.

بل قد شطَّ بعض المتكلمين كالنظام فزعموا انهُ تعالى لا يقدر على شيء من الشر وان ابليس يقدر على الخير والشر ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابهِ تلبيس ابليس . فمن مثل هذه المقالات نشأ الاعتقاد في الشيطان عند اليزيدية والراجح ان احد شيوخهم اولع بهِ شاع بينهم ثم زادوا فيهِ ما زادوهُ

اما تسميتهم لهُ بطاووس ملك وقولهم في مصحف رش « اول يوم خلق الله فيهِ هو يوم الاحد وخلق فيهِ ملكاً اسمهُ عزازئيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع » فلهُ اصل ايضاً وهو ما جاء في بعض الآثار عن كعب الاحبار وغيرهِ ويكثر ورودهُ في قصص الانبياء وبعض التفاسير من ان ابليس كان يسمى في السماء السابعة بعزازئيل وانهُ كان مجتهداً في العبادة حتى لم يترك من السماوات والارضين موضع شبر الاَّ سجد فيهِ فسمي لذلك طاووس الملائكة وانهُ كان سيّد الكروبين والروحانيين ورئيس خزّانة الجنة

النتيجة

فيتبين مما تقدم أن تكوين هذه الطائفة كان على يد الشيخ عدي بن مسافر في القرن السادس الهجري وانها سميت بالعدوية نسبة اليهِ ثم تسمّت بعد ذلك باليزيدية وأن منشأ الاعتقاد في يزيد بن معاوية منهُ فلا صلة لهم بيزيد ابن ابي أنيسة ولا بنحلتهِ كما توهمهُ بعض الباحثين . وان طريقتهم تطوّرت بعد ذلك في اطوار فبدأ فيها الانحراف في زمن الشيخ حسن بن عدي ثم توالى عليها النقص والزيادة والتغيير والتبديل قرناً بعد قرن حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن . ولعل فيما قدمناهُ من الشواهد العديدة والادلة البيّنة ما يزيل الشك ويوضح الغموض الذي تكتنف هذه النحلة الغريبة وترك الناس في عمياء من امرهم حقباً طويلة والله اعلم

احمد تيمور